



قصيدة «عام الخوارق» (*)



السيد ضياء الدين عبدالعلي الموسوي الخوانساري

إعداد: السيد عبد الله الحسيني

● المؤلف في سطور:

ولد السيد أبو تراب ضياء الدين عبدالعلي بن أبي القاسم بن مهدي بن حسن ابن حسين الموسوي الخوانساري النجفي، في بلدة خوانسار في سحر ليلة الخميس السابع عشر من شهر رجب المرجب عام ١٢٧١ هـ، كما ذكره هو في كراسة كتبها في ترجمة نفسه بخطه نقلاً عن والده وهو شقيق السيد محمد باقر صاحب الروضات.

● دراسته:

درس القرآن الكريم منذ نعومة أظفاره في بلدته، كما درس اللغة العربية وشطراً من العلوم الشرعية عند اساتذة بلده، ثم غادر خوانسار إلى أصبهان و أقام فيها فترة وحضر عند علمائها، ثم غادر إلى العراق واكمل دراسته هناك ونال الاجتهاد.

● أساتذته:

تتلمذ رحمه الله على عدّة من جهابذة العلم أمثال صاحب الروضات، والميرزا الشيرازي، والشيخ محمد الكاظمي، والمولى لطف الله المازندراني، والشيخ محمد طه نجف، والسيد حسين الكوه كمري والميرزا حبيب الله الرشتي وغيرهم، وقد شهدوا له بتضلعه واجتهاده كما يلوح من اجازته الروائية.

(*) سبق وأن نشر في كتاب (بيست رساله فارسی) بتحقيق: الشيخ رضا استادي.

● تلامذته :

تتلمذ عنده ثلة من العلماء والافاضل، منهم: محمد ابراهيم بن علي الكلباسي، السيد محمد حجت ابن السيد علي الكوه كمرى، والسيد محمد مهدي ابن السيد محمد ابن محمد صادق الخوانساري الكاظمي، والشيخ عبد الحسين الأمينى ابن أحمد، والسيد ناصر ابن السيد هاشم الموسوي الاحسائي، وممتاز العلماء السيد أبو الحسن ابن دلدار علي، والسيد محمد رضا الكلبايكاني وغيرهم.

● أخلاقه وصفاته :

كان رحمه الله من أهل الصبر والثبات، كبير النفس، دمث الأخلاق، رحب الصدر، بعيد عن التأنق، يخضع للحق ويتحاشى عن المجادلات، وكان إذا حدث بحديث أخذ بمجامع القلوب، وكان يمزج حديثه بنكات علمية وأخلاقية مستطرفة، يحترم العالم لعلمه والأديب لأدبه، ويكره الغني البخيل والفقير المتكبر.

● ما قيل فيه :

قال الكاظمي (ت ١٣٩١ هـ): وهذا المولى الأجل الأفضل كان من أعظم علماء المعقول والمنقول، وأكابر أئمة الفقه والأصول، وكان حسن السيرة، صافي السريرة، زاهداً عابداً ورعاً، أفضل أهل عصره وأعلم علماء دهره.

وقال عنه السيد بحر العلوم (ت ١٣٩٩ هـ): الفقيه الرجالي، صاحب المؤلفات الثمينة... قد فجع في حياته بوفاة أولاده الثلاثة فما شاهدنا منه إلا الصبر الجميل، ولم تعقه هذه الفواجع عن المثابرة على التأليف والتدريس.

وقال الشيخ الطهراني: عالم متفنن، وفقه نبيه، ورجالي متبحر، كان من أجلاء علماء النجف المدرسين، وأئمة الجماعة الموثقين.

● مؤلفاته :

قد اعتزل المترجم الناس طيلة خمس عشرة سنة، وانشغل فيها بالتأليف والتحقيق، وترك ثروة علمية كبيرة، ومما حفظته لنا المدونات الرجالية من كتبه ومؤلفاته ما يلي:

- ١- سبيل الرشاد في شرح نجاة العباد، يقع في عشرة مجلدات.
- ٢- سلامة المرصاد في حواشي نجاة العباد.
- ٣- الدر النضيد في شرح التجريد.
- ٤- رسالة في تحقيق بعض مسائل الحج.
- ٥- رسالة في مناسك الحج.
- ٦- المسائل البحرانية. وهي جواب المسائل التي وردت إليه من البحرين.
- ٧- قصد السبيل في أصول الفقه.
- ٨- المسائل الكاظمية. وهي أجوبة المسائل التي وردت إليه من المرحوم الشيخ مهدي الجرموقي الكاظمي.
- ٩- الفوائد الرجالية، تحتوي على خمسمائة فائدة تتعلق بحلّ معضلات مسائل الرجال.
- ١٠- النجوم الزاهرات في اثبات إمامة أئمة الهداة بطريق العقل والنقل من كتب الفريقين.
- ١١- البيان في تفسير سور القرآن.
- ١٢- التنبيه فيما أخطأ العلامة السيد كاظم اليزدي فيه.
- ١٣- المسائل الخوانسارية، وهي أجوبة المسائل التي وردت إليه من خوانسار.
- ١٤- السؤال والجواب من أول الطهارة إلى آخر الديات.
- ١٥- لب الالباب في تفسير أحكام الكتاب.
- ١٦- رسالة عملية باللغة الفارسية.

١٧- رسالة في حكم المهر إذا مات أحد الزوجين قبل الدخول.

١٨- مصباح الصالحين في أصول الدين.

١٩- رسالة في أحوال أبي بصير واسحاق بن عمار.

٢٠- كشف الريبة في حكم صلاة الجمعة زمن الغيبة.

٢١- حواشي على رجال أبي علي في الأحاديث الحسان والصحاح.

٢٢- رسالة في هدم المشاهد.

٢٣- قصيدة عام الخوارق.

وغيرها من المؤلفات الثمينة التي أودعها حين وفاته إلى وصيّه وتلميذه السيد محمد رضا التبريزي، وقد أوصى أن تباع داره ويصرف ثمنها على طبع كتبه.

● قصيدة عام الخوارق:

وهي هذه القصيدة التي نقدمها للقارئ الكريم، وهي شرح ما ظهر من المعاجز من مرقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عام (١٢٩٩ هـ) والتي شاهدها هو بنفسه، وقد أرخ العام في آخرها بقوله: «عام الخوارق من صنو طه» وهي ثمان معاجز وكرامات كانت على مسمع ومرأى الناس.

● وفاته ومرضه:

توفي رحمه الله في اليوم التاسع من شهر جمادى الأول سنة ١٣٤٦ هـ في النجف الأشرف عن عمر لم يتجاوز الثمانين، ودفن في وادي السلام بحسب وصيته، وقد رثاه فريق من الشعراء منهم السيد شاکر الموسوي، حيث قال:

الحنيف فكان من خزانة	نعم الفقيه أبو تراب كان للشرع
بعد الفقيد يحلها بيانها؟	من للعلوم المبهات رموزها
ولكم فقيه لا يفني بضمائه	كان الكفيل حلّ كل عويصة
كان الفقيد أجل أهل زمانه	قسماً بمكة والخطيم وزمزم

قصيدة عام الخوارق

ألا قل لأرض على ما سواها
غريّ عليّ فداه أبي
هنيئاً لثاويك إذ جاوروا
أناخوا المطايا على موطن
تحنّ إليه الملائك من
بأنواره تستضاء الظلم
فكم شاهدوا فيه من معجز
وما كنت شاهدت من معجز
وفي عرض شهرين أو أزيد
وتفصيلها أن في البدء جمـ
ففازوا بتقييل أعتابها
لكي يدركوا الأربعين بها
فراوموا الخروج لبعده الطريق
بحين قد انسدّ باب البلد
وفي الباب مستحفظون من الـ
ولا يمكن الفتح من أمرهم
ف قيل لهم: أيها الجمع لا
فقالوا: نروح بقصد صحيح
فساروا جميعاً على صدقهم

لها الفخر مذرّبها قد دحاها
وأمي ونفسي وما قد أتاها
على مرقد المرتضى صنو طه
به كلّ نفس تنال منهاها
أهالي السماء كثاوي ثراها
وتبغي به كلّ نفس هداها
وكم قد رأوا ما ازال عنهاها
فهيئات بالحرص أن يتناها
شهدنا معاجز غطّت سواها
مع من الزائرین أتاها
وراموا الخروج إلى كربلاها
يزورون فيه إمام هداها
بنصف من الليل أو في دجاها
ومفتاحه في يديّ أشقياها
عساكرهم قائمون سفاهها
لنفس وإن قد أتى من أتاها
يفتح لكم بابها أشقياها
يفتح لنا بابها مرتضاها
ينادون زوّاركم يا ابن طه



فلما انتهوا جانب الباب من
 فاشرق بالباب حتى انتفى الـ
 وفتح فتحاً أزال العقول
 فلأنكره حاكم القلعة
 وإن قد تواتر من قد شهد
 على كونهم مبغضين له
 إذن فتح الباب حيدرة
 لجمع لزواره قد أتوا
 فكم قد ألحوا ولم يسمعوا
 هم خائفون وليس لهم
 فنادوا علياً بإخلاصهم
 إذا خاطف جاءهم مشرقاً
 فحرك ذا الباب في قوة
 فكسر أقالمه والتي
 وأهدم داراً لهم كان من
 ومن فتحه صوت رعد بدا
 وذا الباب باب، لدى فتحه
 فلم يبق من بعد شك لهم
 فنور سكان أرض الغري
 وأصرف ذا الحاكم الناصبي
 ففتح ذا الباب أيضاً كذا

سماها إذا خاطف قد أتاها
 ظلام وعاد كصبح دجاها
 وأذهب لب الذي قد رآها
 بتشكيكه قد سعى في غطاها
 ومن ادعى منهم أن رآها
 محبّي الثلاثة من أشقياها
 على رغمه ثانياً من وراها
 إليه فلم يفتحوه سفاهها
 سوى الفحش والسب من أشقياها
 مكنّ لبرد وليل غشاها
 وقالوا: أغثنا أيا صنو طه
 مغيثاً كما جاء في مبتداها
 تزلزل أركانها وبنائها
 بها من حديد وكلاً دحاها
 وراه لئلا يروموا غطاها
 فأدهش ذا اللب والعقل تاها
 وإغلاقه تجمعن أقوياها
 وما أمكن الملحدين غطاها
 بلادهم والتي من وراها
 مصارف في إسراجها وضياها
 لزواره ثالثاً من وراها

ليخبر في القلعة أولياها
 ويفتح لهم حين ذا برضاها
 بدت معجزات له ما عداها
 أصمّاً خلّت عينه من ضياها
 أصيب بها كي تروم شفاها
 ويضحك منها ويبغي أذاها
 على عكسها قائماً في عناءها
 وقد أوثقت بالضريح فتأها
 وأسقامه في الزمان نفاها
 أبوه بمعجزه كهداها
 من الناصيين إذا ماراها
 وفي رده بالغت أشقياها
 يفتح يديك إذا مرتضاها
 فتوحاته الباب صدقاً تراها
 إلى الحضرة ناظرين وراها
 لنبغي شفاها فقام حذاها
 وكسّر أغلاله ورمأها
 وراموا الخروج إلى كربلاها
 سلاح لحربٍ بغير بكاها
 على سلبهم ظامئين دماها
 يطعمهم سلاح فزلّ عراها

وقد كان مستحفظ رائقاً
 فيأتي الأمين بمفتاحه
 فتمّ ثلاثاً وما بين ذا
 فأُمّ أتت بابنها أبكماً
 به فالج أعرج طال أن
 وكان يعيّرهما زوجها
 ولم يك ذا الزوج من شيعة
 فنادت عليّاً بالحاحها
 فأطلقه المرتضى حيدر
 فزال عنا أمّه واهتدى
 وقد تاب من نصبه واحد
 فأهلوه لاموه في فعله
 فقالوا نغلّ يديك فرح
 إذا كنت ما يزعم الناس عن
 فغلّوا يديه وجأؤوا به
 يقولون: قد جنّ جننا به
 فككّه حيدر عندهم
 وجمع أتوا زائرين له
 وهم راحلون وليس لهم
 إذا فاجأهم رماة بنوا
 فلم يقدروا الرمي أصلاً ولم

فنادى فتى: أيها الجمع لا
فمدوا الأيادي إلى أسرهم
ومن بعد ذلك أعرج فالحج
فذي من خوارقه سبعة
وفي اصفهان بدا معجز
وذا أنه كان فيها ابنة
فكانت تلوذ بأهل العباء
إذا أخبرت بالقضايا التي
فنادت: أبي يا علي
فنامت بإلحاحها فرأت
فتم ثمان فأزخته

تفوتنكم بعد ذلك أشقيها
وغلّوا أياديهم في قفاها
سقيم أتى فالسقام نفاها
بدت في غريّ ونحن نراها
من المرتضى حيدر من وراها
عمى عينها كلّ شخص يراها
وتبكي كثيراً وتدعو دعاها
جرت في غريّ فزاد بكاهها
أغثنى أغثنى، ونوم عراها
بطيفٍ علياً فمنها شفاهها
بعام الخوارق من صنوطه

* مصادر الترجمة *

- ١- طبقات أعلام الشيعة للشيخ الطهراني.
- ٢- مجلة المرشد، المجلد الرابع.
- ٣- فهرس التراث للسيد محمد حسين الجلالي.
- ٤- الذريعة للشيخ الطهراني.

